# أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر

د.   هواري حمادي، جامعة معسكر

## مدخل:

في ظل التطورات الحاصلة في الفترة الراهنة وعلى رأسها الصراعات الطائفية وتناحر الفرق الدينية والتطرف الديني، الإسلاموفوبيا وربط الإسلام بالإرهاب وتنامي الحركات الأصولية في العالم، إضافة إلى تخلف المسلمين عن الركب الحضاري ووصول الغرب إلى أوج التقدم في ظل فترة ما بعد الحداثة...أصبح الحديث عن التصوف الإسلامي من المواضيع الملحة، التي يجب الاهتمام بها لمواجهة تحديات الراهن ولاسيما إن كان هو الأنسب لإرساء دعائم فكر يؤسس للتسامح والحوار والمحبة واحترام الإنسان في مفهومه العالمي والتفاعل مع الآخر، أي أنه يقوم على أبعاد حضارية وإنسانية بإمكانه استلهامها في مواجهة التحديات الراهنة، وعلى رأس تلك الأبعاد الأنسنة والتسامح وحوار الأديان...

والحديث عن الأنسنة و التسامح ...يرتبط في الفكر الكلاسيكي بالشيخ محي الدين ابن عربي ومتصوفة آخرون، كان لهم صدى كبير في إرساء فكر صوفي فلسفي هادف وفعال فيما بعد، حمل رايته فلاسفة ومتصوفة آخرون في العصر الحديث، لا يقتصرون على العالم الغربي بل العربي أيضا وتحديدا فكر الأمير عبد القادر الجزائري.وإن الرجوع إلى مثل هذا الفكر، يجعلنا ندرك أن فلسفة

الأمير تحملالكثير من الخبايا والأسرار التي تحتاج إلى الاكتشاف، وهو ليس رجلا عاديا، وإضافة إلىكونهقائدا للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر ، ومؤسسا للدولة الجزائرية الحديثة، نجده فيلسوفا ومفكرا وصوفيا وقارئا للقرآن الكريم، انعكست أفكاره في أفعاله، يزاوج بين النظر والعمل، ويؤسس لتعاليم التسامح والأنسنة في عصر ما قبل الحداثة.

فالعودة للأمير عبد القادر في أفعاله وأفكاره، يجعلنا ندرك أنه رائد الأنسنة في شخصيات العرب، حيث تجلت بوضوح في أفكاره الصوفية، وفي مواقفه التي تحترم الآخر، وهي التي أشاد بها أصدقائهوأعدائه، وهي كانت وما تزال تسيل الكثير من الحبر، في مؤلفات شتى، تستحق وقفات مختلفة، هي ما حاولنا أن نثيرها في هذه الورقة، بالرجوع إلى أصل أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر وعلى رأسهاالأنسنة والتسامح ومحاربة التشدد والتعصب وحسن المعاملة والدعوة إلى حوار الأديان....

بالتالي اكتشاف أفكار الرجل ومسيرته الثورية، يجعلنا نكتشف أنه شخصية متميزة، قدمت نموذجا رائعا للنزعة الإنسانية مجسدة في مشروع متميز، يجمع بين النظر والتطبيق، بين التصوف والثورة، وهي مواقف تستحق الوقفات طيلة التاريخ وعلى وجه الخصوص في أيامنا هذه، فكيف يعتبر الـتصوف عند الأمير عبد القادر مرآة عاكسة لأبعاد حضارية بالإمكان الاستفادة منها في مواجهة تحديات الراهنقبلتبلورها في الفكر الغربي المعاصر؟

**1-منطلقات وحقيقة التصوف عند الأمير عبد القادر:**

مما لاشك فيه أن التصوف وثيق الصلة بالذات، لأنه يرفض التنظير المجرد من العمل والممارسة، ولذلك لا يمكن إدراك أبعاد التصوف عند الأمير، إلا بالبحث عن منطلقاته وجذوره الأولى بالرجوع إلى بعض مقومات سيرته الذاتية، والإشارة إلى طبيعة تصوفه الذي لم يكن طرقيا بقدر ما كان تصوفا فلسفيا يؤسس لقضايا الإشراق والعرفان والتجلي والإنسان الكامل وحوار الأديان... .

**أ-سيرته الذاتية:**

عن شخصية الأمير عبد القادر، يجمع مختلف الدارسين لشخصية الأمير عبد القادر أنه منذ ولادته تلقى اهتماما خاصا من والده، ونشأ في أسرة دينية أو تلقى تنشئة صوفية ودينية كانت مطية نقلته إلى عالم التألق والشهرة فيما بعد، ليصبح "الإمام الأوحد، والعلم المفرد، العارف بالله، والتقي الأواه، عالم الأمراء، وأمير العلماء، الأمير الخطير ، السيد عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري، ولد في شهر رجب سنة 1222ه./ 1807م. في القيطنة وهي قرية اختطها جده في إيالة وهران من أعمال الجزائر" (الأمير، ع.2005: 6).

كما يصرح "هنري تشرشل": "منذ طفولته كان عبد القادر موضعا خاصا لحب والده، حتى عندما كان في الرضاع فإن الوالد

الحنون كان يصر دائما على أخذ الطفل إلى حضنه، وكان لا يسمح لأحد غيره أن يقوم بالعناية به، فقد كان هناك على ما يبدو، سر غامض وعاطفة غير محددة يدفعان الأب إلى أن يخصص اهتماما غير عادي للطفل الذي سيكون مستقبله محفوفا بهالة مجيدة ومرتبطا بمستقبل بلاده" العناية والتربية الصوفية التي تلقاها الأمير عن والده الصوفي العارف بالله محي الدين تعتبر مكمن سر في نبوغه وتألقه فيما بعد. (ه، تشرشل: **2009**. **61**).

ولا يمكن إنكار دور الظروف التي مر بها الأمير الإنسان في حياته اليومية بجوانبها السياسية والاجتماعية في تكوين شخصيته وتحدثه عن النزعة الإنسانية من خلال فكرة الإنسان الكامل، حيث كان هذا الاخير من "وجهة أخرى هو الأمير نفسه، إذ لا ننس أنه كابد من المحن ما لا يتصور، فقد اجتث عن وطنه ومسقط رأسه في ظروف هزيمة وضياع ملك وحزن وانخذال حمية، ثم إن حياة الاعتقال في قلة من أهله بدار الكفر كما كانت توصف في ذلك القرن، كان من أسباب اهتياج لواعجه ولوعاته" (عشراتي. س، **2011**: **14**.)، فالحياة الصعبة التي يمر بها الإنسان لابد أن تصنع لها امجادا وخاصة إذا كابدها وتحمل مشاقها، وهو ما ينطبق على الأمير الذي كانت معاناته جراء مواجهة الاستعمار من نفي واعتقال نعمة بقدر ما هي نقمة لأنها لم تزده إلا عزيمة وإصرارا وكانت مطية لتفتح أفكاره وجود قريحته بأشعار في حب الأوطان ترعرعت في كنفها نزعته الروحية والدينية والإنسانية.

هذا الحديث المقتضب عن السيرة الذاتية للأمير عبد القادر، يختصر في جملة الصفات التي كانت سببا لتألقه وجعله مؤسسا لتصوف فلسفي، ورمزا من رموز النزعة الإنسانية في العالم، حيث يشير الأستاذ 'مزيان محمد' أنه "إذا حاول أي دارس لشخصية الأمير أن يستحضر مواقف الأمير عبر الحياة الصعبة التي عاشها، فإنه سيجدها شخصية متزنة قوية تستقيها ثروة من المعارف وبعد نظر الرجال العظماء، لنفرض أنه عرضت علينا مجموعة من الصفات أو الخصائص التالية ترتبط بشخصية رجل ما وتكون هذه الخصائص كما يلي: **وسيم-متصوف-أديب وشاعر- قائد-مثقف- مصلح-مقاوم-متفائل-إنساني-فارس-صبور**.

فمن يقرأ ويطلع على هذه السمات من أجل التعرف على صاحبها فسوف لن يأخذ من الوقت طويلا ليربطها بشخصية الأمير. إن كانت هذه الخصائص مختصرة، فهي مؤشرات تعكس البعض من غزارة مميزاته وترمز بصدق إلى معالم شخصيته الثرية" (مزيان، م.**2010: 17**) فقد كان الأمير شخصية جامعة بين صفات وشيم لم تؤت لغيره والتي صقلت سمات خاصة به توجت بعد مراحل طويلة بشخصية ذاع صيتها في شتى الأقطار وأثنى عليها الجميع، وبها كان تصوفه تصوفا راقيا مؤسسا لفلسفة الأنسنة والحضارة .

**ب-حقيقةالتصوف عند الأمير عبد القادر:**

تدرك الأبعاد الحضارية للتصوف عند الأمير في صورتها الشمولية والكلية، من تصوره له كحقيقة جامعة بين العلم والعمل،

العلم هو معرفة النفس وأحوالها حتى يتحقق إخلاصها لله، يقول: "إن كل من لم يسلك طريق القوم، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه، لا يصح له إخلاص ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأشدهم هروبا من الخلق واختفاء وأكثرهم تدقيقا وبحثا في دسائس النفوس وخفايا العيوب، فإذا رحمه الله –تعالى- بمعرفة نفسه صح له الاخلاص وتصير الجنة والأجور والدرجات وجميع المخلوقات" (الأمير، ع . 2005: 113).

وفي المقتطف من الموقف الرابع يؤكد الأمير أهمية تعلم الطريقة الصوفية والتمكن من علوم المتصوفة لكي تبلغ درجة الإخلاص، الذي لا يتسنى إدراكه دون علم التصوف إلا برحمة منه تعالى، فهو يؤكد كغيره من المتصوفة مقولة: -من عرف نفسه فقد عرف ربه-، و ويؤكد أن التصوف علم في البداية لأنه أساس العمل." فالتصوف عنده علم، والعلم هو معرفة النفس وأحوالها حتى يتحقق إخلاصها لله" (ملاح، أ. 2007: 36).، إذ نلمس في الطريق الصوفي للأمير جانب علمي وآخر عملي، والتكملة للعلم لابد أن يكون بموجبها التصوف عند الأمير عملا باعتبارها تحليا بالفضائل وتخليا عن الرذائل جسدها في النزعة الإنسانية على وجه الخصوص، حسب ما أبداه من سلوكيات التسامح والحوار والاحترام للبشر والديانات أشاد بها العدو والصديق، تعبر عن معطيات عصر ما بعد الحداثة في سياق الفترة التي كان فيها الغرب يتجاهل تلك القيم في ظل ثقافته الاستعمارية للشعوب..

من خلال البحث في منطلقات وطبيعة التصوف عند الأمير، نصل إلى أنه يعكس أهمية التكوين الديني والفلسفي في صناعة الإنسان، ودور الربط بين العلم والتطبيق لتغيير الذات قبل تغيير العالم، و يتخذ التصوف عند الأمير طابعا فلسفيا، لأنه تنظير لقضايا الوجود والمعرفة والتأويل والأنسنة، إذ يمكن القول أنه يؤسس للتصوف الفلسفي الذي يمزج من خلاله الذوق بالنظر العقلي، وتتأسس من خلاله أفكار فلسفية كفكرة وحدة الوجود تأثرا بشيخه محي الدين ابن عربي والطريقة الأكبرية التي تجعل تصوفه يحمل بذور النهضة والحداثة التي يحتاجها الإنسان اليوم.

## 2-الأبعاد الحضارية للتصوف عند الأمير عبد القادر:.

يحمل التصوف عند الأمير أبعادا مختلفة، فهو لا يقوم على ثنائية الشيخ والمريد فحسب، بقدر ما يقوم على التأسيس لفلسفة في الحضارة وحقوق الإنسان تقوم على الجمع بين الحكمة والممارسة، وتتجلى في نقاط مختلفة منها:

### أ-الدعوة للإنسان الكامل والأنسنة:

يعود الأمير عبد القادر إلى فكرة الإنسان الكامل عند ابن عربي، هذا الأخير يجسدها في قوله "اقتضى الأمر جلاء مرآة العالم بعدما كانت صورة مظلمة، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة" (ابن عربي، م . 2005: 7)، وذلك لأن الإنسان الكامل هو الذي تجاوز مرحلة الإنسان الواقعي، "وهو الحقيقة المحمدية التي

تتراءى لعين العارف في كل شيء من حيث كونها الحدث الذي تجسدت فيه وبه المشيئة مطلقا" (عشراتي، س.2011: 128).، فالإنسان الكامل هو الذي حقق مرتبة الخلافة في الأرض وحقق درجة الصورة التي يرى فيها الله ذاته وبلغ مرتبة الولاية التي تشبه درجة النبوة وتجعل الصوفي يتلقى المعرفة اللدنية بعد الاتحاد بالخالق، جسدها الأمير في اقتفائه لطريق الشيخ الأكبر قولا وفعلا، وفي قراءته للنص القرآني على وجه الخصوص .

كما يؤسس الأمير للأنسنة القائمة على النزعة الإنسانية، واحترام الإنسان الكوني بعيدا عن هيمنة المعتقد أو العادات والتقاليد والانتماء والهوية،و بموجبها ينبذ التطرف ويدعو للتسامح وهذا ما تجسد في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري ، حيث أكد - إدريس الجزائري- :الممثل الدائم للجزائر لدى الأمم المتحدة سابقا، أن الأمير كان منشدا لفهم حقيقة الإسلام كدين ينبذ التطرف الملحق به بهتانا وزورا ذلك لأنه لم يستنبط من الإسلام الحقيقي" التشدد ولا نموذج العنف الذي يراد إلصاقه بالمسلمين كوسيلة شعبوية للتخفيف في الدول المتقدمة، إنما استلهم من مبدإ - الإسلام الحقيقي- المحبة والأخوة والإنسانية لشق الطريق لتأسيس قانون دولي إنساني جامع وفعال... ذلك أن فكر وأعمال الأمير يشكلان دواء للحد من تصاعد اللاتسامح، تلك الظاهرة المشؤومة لهذه الهويات القاتلة" (الجزائري، إ، 2007: 13.) فقد تأثر الأمير لما ينسب للإسلام من ظواهر التطرف والقسوة والعنف وتجاوز ظواهرالأخوة والإنسانية التي هي من صميمه ومن مبادئه الكبرى.

### ب-الدعوة إلى التفتح على الأديان والحوار فيما بينها:

يشهد هنري تشرشل -في كتاب حياة الأمير عبد القادر- على دور الأمير عبد القادر في التفتح على الديانات، بالإشارة إلى قيامه بزيارة للكنائس وتعرفه على المسيحية والمسيحيين في أوربا، قائلا: " عندما دخل كنيسة المادلين، قال للقسيس الذي كان مرافقا له: - حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له، ... ... ... وعندما كان يزور كنيسة نوتردام توقف ليتفحص عجائب الفن والآثار التي تحتوي عليها باهتمام آثار دهشة الحاضرين لأنه صادر عن مسلم، فتماثيلها وصورها الملونة والعباءة التي كان قد توشح بها نابليون الأول عند تتويجه وقطعة الصليب الحقيقي الذي أهداه بالدوين Baldwin إلى لويس الثاني عشر، كلها على التوالي جذبت انتباهه" (ه، تشرشل: **2009**: **342-343**).

هنا يتضح موقف خاص للأمير عبد القادر في التعامل مع المسيحية يبدأ من قبوله الدخول إلى الكنائس ويمر باحترامه للديانة المسيحية واعترافه بأنها دين متميز عن من يدينون به، وترتبط كذلك بتردده على أحد الكنائس متفحصا آثارها وعجائبها حتى من الصليب الذي أثار اهتمامه على الرغم من أنه محل استهجان من بعض المسلمين، ولاشك ان هذا يعكس شيم التسامح والتفتح على الأديان الموجود في الإسلام، والذي ما فتئ ينكره المتعصبون والمتطرفون... قراءة التصوف مهمة جدا ولاسيما لأفكار ابن عربي فهي الارضية النظرية للشخصية السمحة عند الأمير بعد سيرة

الرسول صلى الله عليه وسلم طبعا...وكل هذا بطبيعة الحال هو ما يحتاج إليه مفكرو الإسلام في مواجهة التطرف الديني داخل العالم الإسلامي والإسلاموفوبيا خارجه.

كما أشار إلى أن"الحوار بين الديانات الذي ما انفك يبجله ويشيد به هو حسب رأيه كثير المنفعة خاصة وأن الأنبياء ،أي دياناتهم تتفق على قيم تكتسي صبغة عالمية ويشير إلى أربعة قيم أساسية "حفظ الشخص ، وحفظ النفس، وحفظ الأسرة وكذا حفظ المال" ويؤكد بأن الديانات تلقن نفس التعاليم" وأن مبتغاها المشترك هو تعظيم لله والشفقة حيال مخلوقاته فالاختلاف بين الأنبياء"-حسب الأمير- يمكن في طريقة المحافظة على هذه القيم العالمية والتدابير المنصوص عليها لضمان ديمومتها ". (الجزائري، إ، 2007: 20).

فالحوار بين الديانات هو ما أشاد به الأمير مبينا أن الأديان على اختلاف أنواعها تتفق فيها، انطلاقا من اشتراكها في قيم كونية كحفظ الشخص وحفظ النفس وحفظ والمال والأسرة كما تعرف في تراثنا بمقاصد الشريعة، التي جعلها الأمير منطلقا لفهم مسائل الأنسنة وحوار الأديان...حسب تصورات لا تختلف عن المفاهيم الملحقة في الفترة اللاحقة له، وهي ما تجعلنا ندرك أن تصوفه يحمل أبعادا متنوعة جوهرها الحوار بين الديانات التي هي مطلب حاسم اليوم، ولاسيما في ظل حرب الهويات كما يسميها هنتنغتونHuntington. S وأتباعه، وفي ظل الإرهاب المنسوب

للإسلام، كما ظهر مؤخرا في -أحداث- شارلي- بفرنسا التي شوهت صورة الإسلام رغم براءته منه، تلك التي تحتاج من يدافع عنها بالحجة والبرهان وليس بالتنديد فقط، ولعل الحجة هنا تجد نفسها في تصوف الأمير عبد القادر الذي عكس الإسلام المتسامح والفعال في بناء الحضارة، وهو ما وجب أن يستلهم اليوم لمواجهة التحديات المختلفة.

**ج-التأسيس لمواثيق ومعاهدات تكرس للحضارة الراقية والمستقرة:**

أرسى الأمير مواثيق مؤسسة للمدنية والحضارة، تضمنت بنود مختلفة حول حقوق الإنسان في معاملات شتى، منها "القانون الذي رسمه لجيشه وأنصاره من الشرفاء والأجواد، والذي نذكر منه ما يلي:

1- أي فرنسي يتم أسره في المعارك يجب أن يعتبر أسير حرب، وأن يعامل كذلك إلى أن تتاح فرصة تبادله مقابل أسير جزائري.
2- تحريم قتل الأسير والمجرد من السلاح.
3- معاملة الأسير معاملة حسنة، وفي حالة شكوى الأسير تسقط المكافأة عن آسره ويتعرض لعقوبات،
4- كل من يقدم أسيرا فرنسيا يحصل على مكافأة قدرها (8دورو).

5- مداواة الأسرى وإطعامهم من طعام الجيش. "( بوعرفة، ع. 2010: 144).

من خلال هذه البنود السالف ذكرها ندرك أن الامير كان سباقا في التأسيس لميثاق الأسرى ومواد مختلفة حول حقوق الإنسان، من شأن حضاراتنا اليوم استلهامه في التعامل مع الاسرى وإعادة تربيتهم وتنشئتهم ليكون مواطنين صالحين مساهمين في بناء الحضارة وليس مخربين لها.

**د-الدعوة للحكمة والتحلي بها:**

على غرار الفيلسوف أبي حامد الغزالي في "رسالة أيها الولد" يشيد الأمير بالحكمة في مواضع مختلفة، إذ يذكر بأقوال الحكماء، داعيا إلى تدبرها، والتحلي بها في الوقت ذاته، وهي ما تجعلنا ندرك أن تجربته الصوفية، مرتبطة بأقوال الحكماء و مؤسسة في الوقت لنفسه لمجتمع ضالته الحكمة، ولاسيما تلك التي تؤكد أهمية المشورة والرأي في بناء الحضارة والمجتمع المتماسك، ورد في مذكراته: "أربعة يرتقى بها أربعة:" العقل في الرياسة، والرأي في السياسة، والعلم إلى التصدير، والحلم إلى التوقير"(الأمير، ع. 2010: 298) وهنا يتبين أهمية العقل في تسيير شؤون البلد، والتشاور والرأي الحكيم في سياسته، وقيمة العلم الذي يكتسي غاية قصوى في بناء الاستقرار والازدهار، إضافة إلى الحلم وحسن التدبير، ...وغير ذلك من الحكم الذي عكس بها الأمير تصوفهقولا وفعلا، وفي مجال بناء الحضارة الراقية يضيف الأمير أن السلطان لابد له من "وزير

حسن، ومستشار نصوح وصاحب بريد صادق "(الأمير، ع. **2010**: **298**).

### ه-التأسيس لقراءة متفتحة وهادفة للنص:

من خلال كتاب-المواقف - للأمير عبد القادر، ندرك خبايا تأويل إشاري للقرآن الكريم والسنة وأقوال الصحابة من شأننا اليوم الرجوع إليه لمواجهة مظاهر التعصب والأنانية وهيمنة المادة، لأنهدفه التهذيب والأخلاق قبل كل شيء، كما يظهر بوضوح في قراءته للنص حول الجهاد الأكبر والأصغر، الحديث القائل: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"..يريد–صلى الله عليه وسلم- بالجهاد الأصغر جهاد الكفار بالأبيض والأسمر وبالجهاد الأكبر جهاد النفس بالتزكية والتخلية والتحلية ..."(الأمير.ع، **2005:73**).

هنا يقدم الأمير تأويلا خاصا للحديث يتماشى واتجاهه الصوفي ولكن يبدي دهشة على طريقة الفيلسوف من تسمية الرسول صلى عليه وسلم جهاد الكفار بالجهاد الاصغر على الرغم من التضحية بالنفس والنفيس من أجله، على خلاف تسمية جهاد النفس بالجهاد الأكبر، " رغم أن الغالب فيه تفويت عدم تبديل الحياة الحاضرة بالموت ، وإنما فيه تفويت راحة وشهوات ، وتهذيب أخلاق، وتبديل أحوال ذميمة بأخلاق جميلة. وأما أن يكون ذلك لكون جهاد العدو الكافر لا يكون خالصا مخلصا من الشوائب المفسدة والحظوظ المبعدة إلا بجهاد النفس وتهذيبها وتزكيتها. وإلا فلا

يخلص جهاد المجاهد، بل ولا عمل من الأعمال الصالحة مادامت النفس ملطخة بالخبائث. فجهاد النفس أكبر، لكونه شرطا في صحة جهاد العدو الأكبر. والشرط مقدم، فهو أكبر من المشروط لأن قبوله وصحته بوجوده مربوط"(الأمير.ع، **2005:73**).

عندما نعود إلى هذا النص نلاحظ وضوح النزعة الصوفية للأمير عبد القادر ،تتجلى في تأكيده على الأخلاق بالتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل من أجل الإخلاص في العمل، مبينا أن الجهاد لا يحصل فيه الإخلاص ولا غيره من الأعمال التي يطلبها الشرع منا إلا بتزكية النفس وتطهيرها من الخبائث، وهذا ما يجعلنا نكتشف هنا أهمية الإخلاص في العمل كأساس للنجاح فيه سواء أكانت دنيوية أو أخروية، وهنا بالإمكان الاستنتاج أن أي جهاد للعدو والمستعمر والظالم لابد له أن يحدث في الفرد قبل حدوثه في المجتمع، وهذا شرط لنجاحه.

هذه بعض الأبعاد التي تعتبر غيض من فيض، لأن تصوف الأمير لا يختصر في هذه الكلمات، هو رؤية معرفية وطريقة سلوكية، بإمكانها فهم الإنسان المؤسس للحضارة، ككائن ذو أبعاد: ماضي وحاضر ومستقبل، وعن علاقتها بالراهن الذي يكتسي أهمية قصوى، ما أحوجنا لاستثمار أفكاره ومواقفه في عصر العولمة، "ان استثمار الأمير عبد القادر في البرامج التربوية كفيل بميلاد جيل شبيه بالأمير عبد القادر في سلوكه وفكره، وحبه للوطن واعترافه بالآخر. لقد غيب الأمير كتراث فكري وإنساني وحضر كإيديولوجية فقط، ...الأمير ليس مسيرة جهاد فحسب بل مسيرة إنسان

عرف أن الله لم يصطف لنفسه جنسا ولا عرقا بل جعل الناس كلهم كعملة واحدة"( بوعرفة، ع. 2010: 151).

فالرهان في بناء مواطن مخلص لوطنه ومتفتحا على الآخر ومنجزاته مرتبط أيما ارتباط بالتربية وبالتحديد بالبرامج والمقررات الدراسية التي لابد أن تستثمر فيها أفكار وفلسفة الأمير الصوفية في صناعة جيل اليوم، ولاسيما في ظل تراجع فضيع لقضية الهوية المحلية بعد الغزو الإعلامي، وانتشار الصراع بين البشر بعضهم بعضا بعيد عن التسامح والاحترام الذي كان راية الأمير به يفهم الواقع والنص ويؤسس لفكر مبدع يتشرب من السيرة المحمدية والطريقة الصوفية والفلسفة الإشراقية والواقع المعيش، كل في إطاره لكن في تفاعل محكم وتداخل وانسجام.

كان يفهم الإسلام خارج صور التعصب والإرهاب الملصق به، والخوف المصطنع منه ومن أبنائه، الذي يبقى مرهونا بقراءة خاصة له، كشف الأمير الكثير من خباياها قولا وفعلا، وهي التي نحتاج إليها اليوم تنظيرا وممارسة، الأول بإرساء دعائم بحث علمي للأمير خارج الإيديولوجيا والمصالح الآنية الظرفية، والثانية مرهونة بالتطبيق لما ورد فيها من دعوة للأنسنة والتفتح على الأديان....في الميادين المختلفة السياسة والاجتماعية...في الأخير لا نبالغ إن قلنا أن الأمير أرسى دعائم تصوف فلسفي يحمل أبعاد مستقبلية محورها الإنسان -خليفة الله في الأرض- يعبر عن مركزيته في الكون بجانبيها المادي والروحي... ومهما قرأنا أفكاره تبقى معينا لا ينضب تحتاج على مر التاريخ للاستقصاء والبحث، ولاسيما في ظل الانبهار الزائد بحداثة الغرب، من منطلق قيامها على ركائز الأنسنة والحضارة في بعديها المحلي والعالمي.

**الخاتمة:**

يمكن القول في الأخير أن التصوف الإسلامي عند الأمير عبد القادر لم يكن مجرد ممارسات وطقوس بل كان علما وعملا، ومرآة عاكسة لأبعاد متنوعة غايتها الرفع من كرامة الإنسان، وجعله خليفة في الأرض بمعنى الكلمة التي أرادها القرآن الكريم لأن غايته القصوى هي الأنسنة، حيث يكون عنده هادفا لخدمة الإنسان في بعديه الفردي والكوني، التي بموجبها يقوم على محاربة التعصب الديني، والدعوة إلى الحوار بين الأديان، ويؤسس للحكمة والتعقل في التصرف في شؤون الحياة...

وهذه الغايات من دون شك هي الأنسب لمواجهة تحديات الراهن القائمة على الصراع الحضاري والاقتتال من أجل المادة في ظل غياب الجانب الروحاني، الذي يؤسس له الأمير بوضوح في مختلف أفكاره ومواقفه، وهو ما يجعل تصوفه في حاجة إلى قراءات مستمرة وفي الوقت نفسه لابد من استثماره في فهم الكثير من معطيات الواقع اليوم، إذ يقدم لنا الكثير من الأفكار حول التسامح والأنسنة من شأننا توظيفها في فهم الراهن فهما فعالا وإيجابيا نحن أحوج إليه اليوم أكثر من أي وقت مضى.

## مصادر ومراجع البحث:

- الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، تح: محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح الجون، ط7، 2010.

- بوعرفة عبد القادر وآخرون، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، دار القدس العربي، ط1، 2010.

-الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، المواقف، -موقف 4- تح: عبد الباقي مفتاح، مؤسسة الأمير عبد القادر، ط1، 2005.

-شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد مع عالم العرفة الجزائر، طبعة خاصة، 2009.

-عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر-مساجلات في قضايا اللغة والمعرفة والفقه والخطاب القرآني، دار الفكر العربي مع أطفالنا لنشر والتوزيع، ط1، 2011.

-مداخلات وإبداعات الأسبوع الثقافي لولاية معسكر بالجزائر.، منشورات دار الأديب – حي باهي اعمر السانيا وهران، المداخلة من إعداد:الممثل الدائم للجزائر لدى الأمم المتحدة- إدريس الجزائري- بعنوان: الأمير عبد القادر الجزائري،- نشرت في الدوحة قطر يوم 14فبراير عن جريدة صوت الأحرار الأحد 18فبراير 2007.

-مزيان محمد وآخرون، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، دار القدس العربي، ط1، 2010.

-ملاح أحمد، الأمير عبد القادر المتصوف والمصلح، منشورات دار الأديب، السانيا وهران، د ط، 2007.